



إسهامات المرأة في منطقتي جبال عمور وأولاد نايل في ثورة التحرير

الجزائرية 1956-1962م

الأستاذ : سعودي أحمد

جامعة عمار ثليجي - الأغواط

المرأة الجزائرية تاريخ من النضال:

تميزت الثورة الجزائرية التحريرية (1954-1962م) منذ انطلاقتها بمشاركة واسعة لمختلف شرائح ومكونات المجتمع الجزائري تحقيقا لفكرة ومبدأ قاعدية وشعبية الثورة التي يجب أن تتمثل فيها جميع الفئات الاجتماعية، وانطلاقا أيضا من أدبيات بيان أول نوفمبر 1954م التي تؤكد على ذلك بوضوح فقد جاء فيه ما نصه ما يلي: " وتتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب و الحركات الجزائرية أن تنضم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر"¹.

ولكون المرأة الجزائرية تعتبر لا محالة مكونا رئيسيا داخل هذا المجتمع، فقد كانت تنتظرها عبر التاريخ وخاصة في فترته المعاصرة العديد من الأدوار الهامة داخل مسار حركة المقاومة الشعبية المسلحة (1832-1920م) والثورة التحريرية (1954-1962م) بعد ذلك، وليكون التحاقها بالثورة فعليا وبمختلف الأشكال التي أتاحتها الثورة لها بداية عهد جديد سيرتقى بمستواها من الوعي الوطني ، كما يمثل ردا على الإدعاءات الاستعمارية التي كانت تعتبرها دائما بمثابة " الرئة الميتة". لقد كانت وضعية المرأة الجزائرية بحق و منذ السنوات الأولى للاحتلال صورة مأساوية من المعاناة والشقاء والاضطهاد والانعدام المطلق لكل الحقوق الممكنة والمعقولة التي تمنحها القوانين والشرائع لأي إنسان، نتيجة تلك الممارسات

اللاإنسانية لسلطات المحتل الفرنسي تجاه الجزائريين كشعب مدني أعزل، تشكل المرأة جزء هاماً منه، و مما زاد الطين بلة ذلك الانهيار الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي كرسته الإدارة الإستعمارية من خلال سياسات التجهيلⁱⁱ والتهمجير ومصادرة الأملاك والأوقاف.... والذي كانت المرأة منطقياً أبرز ضحاياه.

وهاهو أحد المؤرخين الفرنسيين وهو بوديكور(Bodicort) والذي يعتبر من كتاب السنوات الأولى من الإمبراطورية الفرنسية الثانية يذكر في كتابه (الحرب وحكومة الجزائر 1831) نموذجاً من تلك الممارسات القذرة والهمجية التي كانت تتعرض لها المرأة الجزائرية على يد مجرمي فرنسا وجلاديهها، فيذكر ما فحواه مصوراً تلك الهمجية التي لا حدود لها: "إن جنودنا كانوا خجولين عند عودتهم من الحملة فقد قطعوا 18000 شجرة وحرقوا المنازل وقتلوا النساء ، وقد أثارت النساء المنكوبات بالخصوص رغبتهم (أي الجنود الفرنسيين) في الثروة بعادة لبس العلائق والخلاخل والأساور الفضية وهذه الحللي ليس لها مقابض مثل الحللي الفرنسية وما دامت وضعت في شحمة آذان الفتيات منذ الصغر فلا يمكن إزالتها عندما يكبرن، ولكي يحصل جنودنا على هذه الحللي عمدوا إلى قطع شحمة الآذان وتركها على تلك الحالة البشعةⁱⁱⁱ .

وقد زادت الأحداث التي ألمت بالجزائر من محن وآفات وسنوات جفاف ومجاعة وفقر وأمراض فتاكة ، أتت على ما يقارب المائتي ألف نسمة أو أكثر، إضافة إلى أحكام الأنديجينا العنصرية التي كانت ترهق كاهل الجزائري من معاناة الجزائريين وعذابهم، ولا يخفى على أحد ما كان لهذه الآفات الاجتماعية من أثر وانعكاس سلبي على حياة المرأة الجزائرية بشكل واضح وهي التي عانت من الاحتياج وشظف العيش، بعد أن استولى المستعمر على أرضها وخيراتهما، ودفع بها وبزوجها إلى البحث عن العمل لدى المعمرين أو في بيت الكولون، خادمة بأجر زهيد لسد حاجيات أطفالها^{iv} .

هكذا كانت المرأة الجزائرية جزء من هذا التاريخ الدامي لفرنسا الإستعمارية في الجزائر ولكنها كانت أيضا جزء من الملحمة البطولية للشعب الجزائري و دائما على موعد مع التاريخ ففاضلت بعنف وقاومت بشجاعة نادرة إلى جانب أخيها الرجل عبر مختلف مراحل التاريخ خاصة أثناء المقاومات الشعبية^v للاستعمار الفرنسي وخلال ثورة نوفمبر 1954م المجيدة^{vi}، ورغم تلك الظروف فقد أسهمت المرأة الجزائرية في مقاومة الاحتلال وذلك بشتى الطرق والوسائل وحسب الظروف ومعطيات كل مرحلة، لتكون مقاومتها بارزة وفعالة عبر مختلف الثورات و الانتفاضات التي عرفتها الجزائر منذ الاحتلال ، لقد "كانت المرأة في بلادنا وما زالت قلعة الصمود و المقاومة، عماد الأسرة و خزان الوطنية، حافظت على الانتماء الحضاري للأمة عقيدة وسلوكا، وبلغت ذلك الإنتماء للأبناء والأحفاد عن طريق التربية بواسطة الأحاجي والأساطير الملحمية والقصص الشعبية عن بطولات الأجداد للإبقاء على جذوة المقاومة. في أحضانها نشأ وترعرع الأبطال من الشهداء والمجاهدين أبطال الحرية والمدافعون عن الكرامة والهوية"^{viii} ..

ثم كانت المشاركة الفعالة للمرأة الجزائرية في صفوف الكفاح المسلح لجيش التحرير الوطني ودعمه عبر تأدية مهام عديدة اقتضت عليها درجات مختلفة من الالتزام والتضحية، فحقق هذا الإنسان الضعيف جسدياً ولكن المفعم بالقوة الروحية العظيمة القدرة الجبارة على التصدي لتعسف وقهر المستعمر الغاشم، والمساهمة في تحرير الجزائر بشكل أهر ساسة وعسكري وأدباء وشعراء العالم شرقه وغربه ف: قصة جميلة بوحيرد... نموذج لبطولة المرأة الجزائرية وصمودها الشامخ شموخ جبال الجزائر، بل تحولت أيضا إلى محرك قوي للعديد من الأفلام الأدبية والسياسية في العالم... تبرهن على عدالة قضية هذا الشعب"^{viii} .

لقد جاءت ثورة التحرير الجزائرية (1954 - 1962) لتعمق دور المرأة في نضال الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ، بفضل تلك التعبئة التي حظيت بها من مؤسسات الثورة خاصة بعد مؤتمر الصومام 1956م، ولتكون بذلك مساهمة

المرأة الجزائرية في فعاليات الثورة عسكريا واجتماعيا عاملا مهما في إدماجها والارتقاء بمستوى وعيها السياسي الوطني إلى مستويات غير مسبوقة ، بعد أن عانت من فترة عزلة وإهمال طويلة أملت عليها القوانين الرجعية التي فرضها المستعمر جاعلة نسبة المتعلمات لا تتجاوز (4%) من النساء الجزائريات طيلة 132 سنة من الوجود الاستعماري في الجزائر.

و ضمن هذا النضال والجهاد النسوي سنأخذ بالدراسة منطقة جغرافية تتميز بحضور نسوي معتبر ومتميز في الأرياف والبوادي الجزائرية ، كنموذج لتلك المرأة الجزائرية المقاومة والجاهدة بمختلف التصنيفات التي أقرتها الثورة ومؤسساتها، وهي منطقة جبال عمور^{ix} و أولاد نايل^x ، التابعتين للولاية التاريخية الخامسة بالنسبة للأولى والولاية التاريخية السادسة بالنسبة للثانية، رغم صعوبة المهمة البحثية في هذا الحيز الجغرافي في مواضيع المرأة بشكل عام وخلال ثورة التحرير بشكل خاص، نتيجة النقص الفادح في الكتابات والبحوث المتعلقة بنضال وكفاح المرأة الجزائرية بشكل عام وفي الجنوب الجزائري والهضاب العليا بشكل خاص .

فقد حرم الجهل الذي فرضه الاستعمار على المرأة الجزائرية ، الكثير منهن ممن ساهمن في الثورة في كتابة وتدوين سيرتهن ومساخرهن الجهادي من جهة ، ومن جهة أخرى اعتبرت الكثيرات منهن ما قامت بهن واجبا دينيا ووطنيا لا داعي للحديث عنه والتشهير به ، مما حرم الأجيال اللاحقة من التعرف على ما قامت به تلك البطولات من دور لا يقل أهمية عن دور أخيها الرجل في إنجاح الثورة و مناهضة المشروع الاستعماري في الجزائر وفق ما أتيت لها من إمكانيات وما توفره لها طبيعة تكوينها الجسدي والنفسي .

مجالات مساهمة المرأة العمورية و النابلية في الثورة الجزائرية :

تعددت مجالات مساهمة المرأة العمورية و النابلية في فعاليات الثورة التحريرية، وإن تركز معظم دورها في المناطق الجبلية و المداشر نتيجة الطابع الرعوي للمنطقة وتركز معظم السكان في البوادي والأرياف وطبيعة المستوى الثقافي والمعيشي

للمنطقة حيث تشير الإحصائيات على أن سكان الريف كانوا يمثلون 97 بالمئة من مجموع سكان المنطقة، تشكل النساء ضمنهن ما يعادل 47 بالمئة، ورغم صعوبة الواقع الريفي من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية إلا أنه أتاح لسكان الريف وبالتالي المرأة الريفية الملامسة المباشرة والاحتكاك الدائم مع واقع الثورة والالتحام بالمجاهدين الذين كانوا يتركزون في الجبال ، ولكنها في نفس الوقت جعلتهم عرضة للعمليات الإنتقامية الفرنسية عند تعرضها لهجمات المجاهدين، حيث تنتقم من المدنيين العزل في المداشر والقرى والتي كانت المرأة من أهم ساكنتها.

وكما هو معروف فقد تشكل جيش التحرير الوطني في بداية الأمر من كتلة الفلاحين الذين فروا من تنكيل الجيش الفرنسي الذي عمد إلى إتلاف محاصيلهم ومنعهم من ممارسة نشاطهم الزراعي، وكان غالبية المجندين من سكان الأرياف، أما سكان المدن فقد كان معظمهم من العمال بمختلف مهنتهم حرفيين، ميكانيكيين وبنائين وسائقين، بالإضافة إلى قدماء المحاربين الجزائريين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية، ومعظم هؤلاء بالنسبة للمرأة الجزائرية يمثلون الزوج والابن والأب والأخ والقريب، وقد ضحت المرأة الجزائرية في هذا الجانب إذ دفعت في البداية بهؤلاء وهم الأقرب إليها إلى جيش التحرير الوطني وتحملت لوحدها مسؤولية الأسرة وتربية الأبناء، لتكون مشاركتها عند اندلاع الثورة التحريرية بصفة غير مباشرة، إلا أن تضحيتها كانت كبيرة، ففضلها تشكلت النواة الأولى لأول تنظيم عسكري للثورة الجزائرية، فلم يكن بالجزائر جيش نظامي يكفل مهمة الدفاع عن الوطن وتحريره، وبذلك كانت الأسرة خط الدفاع الأول الذي يغذي الثورة بما تحتاجه من العنصر البشري ، وكان المجند في جيش التحرير يعد في نظر المرأة الجزائرية رمزا للكرامة والبطولة، والذي لا يلتحق بالثورة يوصف أحيانا بالجبن، وينظر إليه على أنه لم يقدم شيئا لوطنه، وكان المجاهد الذي يعود إلى بيته وتراوده فكرة عدم العودة من جديد إلى الجبل، يجد تعنيفا من زوجته التي تحته على العودة إلى ساحات القتال لمواصلة الجهاد، قائلة له: "بماذا ستجيب أهل القرية على

أسئلتهم التي سوف يوجهونها لك؟ لقد وعدت بالعودة مع الاستقلال، وأقسمت على إعادة الحرية فكيف تستطيع مواجهة الرجوع إلى الحياة العادية بينما يبقى جميع الرجال في الجبال أو في السجون"، وقد أستقبلت المرأة من طرف أعضاء جيش التحرير بكل فخر واعتزاز وعاملها بكل احترام وتقدير حتى أن كلمة امرأة أو فتاة لم تكن مستعملة إطلاقاً بل أدخلت مكانها كلمة أخت مجاهدة أو مناقلة^{xii}..

وفي نفس هذا الإطار المتعلق برفع المعنويات وتشكيل الإعلام الشعبي المضاد لإعلام العدو، برزت الكثير من النساء الشواعر اللائي خصصن شعرهن للدعاية الثورية و تميم ما يحققه المجاهدون من إنتصارات لاسيما وأن نساء المنطقة معروفات بفصاحتهم: " وتنظيم القصائد والأغنيات الشعبية تردها الألسنة ويتغنن بها الأطفال في كل مكان، ترفع من معنويات المجاهدين ومعنويات الشعب، وتعوض الكثير من وسائل الإعلام وأجهزة الدعاية التي كان يستعملها المستعمر، ولا تملك منها الثورة إلا أحاسيس وألحاناً وكلمات مؤثرة تزيد الثورة كل يوم قوة على قوة"^{xiii}.

وإبتداءاً من سنة 1956م وتزايد النشاط الثوري بمنطقتي جبال عمور وأولاد نايل، بدأت مشاركة المرأة تتضح شيئاً فشيئاً في صفوف جيش التحرير الوطني كمجاهدة تحمل السلاح وإن كانت الأسماء والإحصائيات التي توفرت لنا لا تعكس العدد الحقيقي لهن ومن أبرز أسباب ذلك، عزوف الكثير منهن بعد الاستقلال على تسجيل أنفسهن في منظمة المجاهدين لاسيما الساكنات في الجبال والبادي، لكن هذه الأخيرة لم ترق كغيرها من جهات الوطن المتبقية في الرتب العسكرية بالرغم من مشاركتها الفعالة حتى في المعارك التي خاضها جيش التحرير ضد قوات العدو الفرنسي.

وقد أشاد مؤتمر الصومام بمساهمة المرأة في الثورة وثن دور الحركة النسائية على العمل الباهر المقدم لجيش التحرير وجبهة التحرير الوطني الذي قدمته هذه الأخيرة

كمجندة في الجبال أو كزوجة تعيل الأبناء، وكانت قناعتها أن الثورة ستنتهي لا محالة بالحصول على الاستقلال، وقد حصر مؤتمر الصومام في تقريره دور المرأة الجزائرية فيما يلي:

- مؤازرة جنود جيش التحرير عسكريا ومعنويا

- مقت الوشاة واحتقار الجبناء.

- المساهمة في الجانب الإعلامي والاتصالات والتموين وإعداد الملاجئ.

- إعطاء الإعانات للثورة.

كما بينت قيادة جبهة التحرير الوطني افتخارها وإعجابها بدور المرأة الجزائرية من خلال قولها: "توجد في الحركة النسوية إمكانات واسعة تزداد وتكثر بإطراد، وأنا لنحي بإعجاب وتقدير المثال البطولي الذي ما انفكت تضربه في الشجاعة الثورية"^{xiii}.

غير أن الباحث ليتأسف على غياب بعض أسماء المجاهدات في الولايات الكبرى كالولاية الأولى والثانية والثالثة فماذا عن الباحث الذي يفتش عن أسماء المجاهدات والمسبلات والفدائيات ضمن الولايتين الخامسة و السادسة وفي الإقليمين محلي الدراسة، حيث تسجل غيابا تاما عن الساحة الوثائقية وليس ساحة الثورة، التي لا شك أن حضور المرأة فيها كان واضحا، حيث أن المرأة في ولايات الجنوب قد ساهمت كغيرها من الجزائريات في مقاومة الاستعمار، لكن تبقى معضلة كتابة التاريخ الثوري والنضالي للمرأة في المنطقتين مهمة شاقة تتطلب الكثير من التنقيب والبحث لاسيما من خلال اللقاءات المباشرة مع ما تبقى من المجاهدات وجمع ما أمكن من معلومات عن شهيدات المنطقة.

تشير إحصائية عامة إلى أن عدد المجاهدات اللواتي التحقن بصفوف الثورة المسلحة ما بين سنة 1956 حتى سنة 1958 بلغ حوالي 2000 مجاهدة. وقد كان المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، قد تحدّث في الملتقى الوطني الأول الذي انعقد حول كفاح المرأة الجزائرية، عن

مجموعة من الإحصائيات قدمتها وزارة المجاهدين ظهرت في 15 — 08 — 1995 للمجاهدات بمختلف أعمارهن و بلغ عدد المجاهدات في الجزائر حوالي 26102 مجاهدة و كان قد بلغ عدد المجاهدات في الولاية السادسة حوالي 1072 مجاهدة لكننا للأسف الشديد لا نملك معلومات وافية إلا على العشرات منهن.

وقد ذكرت الإحصائية تلك بعض المدن التي كانت ضمن الولاية السادسة إبان الثورة التحريرية، حيث أن منطقة الأغواط سجلت ما عدده 95 مجاهدة، والمسيلة 433 مجاهدة، والوادي 43 مجاهدة، وتمنراست 36 مجاهدة، وإليزي 3 مجاهدات، وغرداية 58 مجاهدة^{xiv} وبسكرة 287 مجاهدة، أما ورقلة 19 مجاهدة^{xv}.

وعن جزء من منطقة أولاد نايل وهو مدينة الجلفة عاصمة الإقليم فقد قدمت الإحصائية 3 مجاهدات إنضوين تحت راية جيش التحرير الوطني، 87 مجاهدة عملن تحت لواء O.C.F.L.N أي المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، ومن استشهدن 8 مجاهدات، ليكون المجموع 98 مجاهدة، كلهن في طي النسيان تقريبا.

النشاط الثوري للمرأة النائلية والعمورية :

أ - العمل العسكري :

سجل التاريخ للمرأة النائلية العديد من النشاطات الثورية ففي الجانب العسكري الميداني ، شاركت في العديد من العمليات الفدائية التي كانت تستهدف مراكز العدو و الثكنات و الأماكن التي يجتمع فيها الجنود الفرنسيون و معروف أن العمليات الفدائية من أصعب العمليات و هنا نذكر المجاهدة " طبة خيرة " التي قامت بالكثير من العمليات ضد قوات الاحتلال الفرنسي و هي من بين المجاهدات التي ظلمها التاريخ كثيرا ، فقد كانت أيضا رئيسة مركز ومسؤولة عن 10 جنود حتى وصفت بـ " جميلة بو حيرد " الجلفة ، نظرا لقوتها و دهائها و شجاعتها و قد

عذبت أشد تعذيب عندما أُلقت عليها القوات الفرنسية القبض، واستشهدت ولم تعترف لهم بأي معلومة تفيد قوات العدو^{xvi}.

ب- التمويل والتمويل

من أبرز المجالات التي نشطت فيها المرأة المجاهدة في منطقتي جبال عمور وأولاد نايل نجد مجال التمويل والتمويل الذي يعد شريان الثورة الجزائرية من حيث جوانبها المادية والاستهلاكية، وكان لهما الدور البارز في نجاح الثورة الجزائرية، وتحقيق أهدافها المسطرة، ويعد التمويل سر نجاحها وهو أساس العملية التموينية لجيش التحرير الوطني، وكانت أهم المصادر المالية للثورة هي تلك التي تجمع من الشعب عن طريق الاشتراكات التي فرضتها الثورة على الجميع منذ الانطلاق، وهو مبلغ من المال اعتبرته الثورة فرض عين يدفعه كل مواطن شهريا، لأن الجهاد بالمال سابق على الجهاد بالنفس، ويعد الاشتراك دليلا على إيمان المواطن بالثورة وتدعيمها، ونجد الكثير من النساء تبرعن بما يملكن من أموال وحلي وحتى بمهورهن أحيانا لصالح الثورة الجزائرية، وقد تكلفت الكثير من النساء بمهمة جمع التبرعات لصالح الثورة وتقديمها للجان المختصة بالتمويل، وفي معظم اللقاءات التي تمت مع المجاهدات اللواتي مازلن على قيد الحياة يؤكدن فيها أنهن منذ الوهلة الأولى سلمن كل ما يملكن من حلي وأموال أو سلاح مخبأ ورثته عن أهلهن للثورة.

ولكون التمويل قد كان نشاطا استراتيجيا خلال الثورة التحريرية، وهو الركيزة التي اعتمد عليها جيش التحرير الوطني لمواصلة نشاطه العسكري، إذ لا يمكن أن يستمر العمل العسكري دون توفر اللباس والغذاء والسلاح والدواء، لذلك أعطيت عناية كبيرة للتمويل من قبل قادة الثورة وحاولوا تنظيمه ورصد الأموال اللازمة له، ولم تكن عملية التمويل في بداية الثورة إلى غاية عام 1955 تخضع إلى تنظيم دقيق، فقد كان جيش التحرير يمول مباشرة من طرف الشعب، إذ كان يتم إطعام المجاهدين في الليل لدى سكان الأرياف خاصة، وتحملت المرأة الريفية في منطقتي جبال عمور وأولاد نايل العبء الكبير في هذا المجال، فهي التي كانت تعد الطعام

وتخيط الملابس وإعداد المؤن التي لا تخضع للتلف بسهولة مثل "الروينة والسويكة" وغيرها، ولعل إعداد الطعام لجنود جيش التحرير ليس بالمهمة السهلة، فغالبا ما تكون الأرياف تخضع لمراقبة السلطات الفرنسية وإشعال النار في الليل يعرض الدوار أو الدشرة إلى القصف الفرنسي أو إلى حملات التفتيش، كما أن إعداد ما يحتاجه جيش التحرير من مؤن يعد تحديا للظروف الطبيعية القاسية سواء في الشتاء حيث كانت الأطعمة تحضر بعد جمع الحطب الذي يتعرض أحيانا إلى الأمطار والثلوج وإشعاله يتطلب عملا مضنيا، وكان إشعال النار مهمة صعبة تتولاها المرأة الريفية ، وأكدت المجاهدات ان كميات القمح التي يتم طحنها في البيت الواحدة لا يقل عن 100 كلغ في ليلة واحدة تتعاون عليها مجموعة من نساء العائلة أو العرش، بينما يمكن أن تتكفل أسرة بغذاء 50 مجاهد في وجبة واحدة تحضر في مدة زمنية قصيرة نتيجة تكافل كل نساء الأسرة.

و كانت المرأة الناييلية كأختها العمورية تقوم بإستقبال المجاهدين ببيتها و تحضير الطعام و الشراب و ترفيع اللباس و حفظ الاسلحة و المواد الغذائية في أماكن مخصصة من البيت حتى لا يكتشفها العدو و من أمثلة ذلك المجاهدة " طهيري خيرة " و هي زوجة الشهيد "عبد اللاوي لخضر " حيث تقول إبنتها: " أتذكر أن أمي كانت دائما تحضر الغذاء و اللباس للمجاهدين و كان عمري آنذاك 7 سنوات عندما كنا في منطقة الشارف و حتى عند مجيئنا للحلقة ظلت أمي تخدم الثورة بعد ان إتتحق والدي بالجبل وأتذكر عندما دخل علينا جنود فرنسا و اقتحموا البيت للبحث عن والدي في جانفي 1962 و عن اوراقه و اوراق بعض زملائه فكانت أمي قد خبئت هاته الاوراق تحت الأرض في أماكن مخصصة^{xviii}

ويذكر الكثير من مجاهدي المنطقتين أنه أثناء عمليات التموين لدى سكان الأرياف لاسيما عند تناول وجبة العشاء، غالبا ما تقوم المرأة بطحن القمح ثم إعداد الخبز أو أكلة "الكسكسي" وهي من الأكلات الشعبية المنتشرة في القطر الجزائري، وهذا العمل يكلف المرأة جهدا كبيرا، ولا تنتهي العملية بذلك فقط،

فمن أصعب المهام ضرورة إخفاء كل الآثار التي تدل على ذلك حتى الرماد الذي يتوجب دفنه تحت التراب ،حشية أن يكتشفه الجنود الفرنسيون كل هذه مهام كانت المرأة تقوم بها بنفسها لأن الرجل مكلف بالإتصال بالمجاهدين وتأمين تحركهم ورصد تحركات العدو في المنطقة.

كما ساهمت المرأة النابلية والعمورية الريفية في إعداد مخابئ خاصة للمؤن كانت تنقل إليها الأغذية والألبسة، وكانت هذه المراكز قريبة من الدواوير و المداشر، وكثيرا ما يتعرض سكانها إلى الوشاية لدى السلطات الفرنسية، مما ينجر عن ذلك حملات تفتيش أو قصف وتدمير للمداشر.

كما عملت العديد من نساء المنطقة بصفة مسبلات لدى جيش التحرير الوطني، حيث يعد المسبل فرد من أفراد جيش التحرير الوطني لا يرتدي اللباس العسكري، ويعتبر عماد وركيزة جيش التحرير، يتولى مواجهة العدو في جميع الميادين، والمسبل يتفرغ لعمل من الأعمال التي تدعم الجيش بكل إخلاص ونزاهة وتضحية، والمسبل غالبا ما يخضع إلى إشراف مسؤول في القسمة التي ينتمي إليها، ويتركز نشاط المسبل في الأرياف والمدن، وقد أوكلت هذه المهمة للكثير من النسوة وكانت مهامهم تتمثل في إيصال المعلومات وتزويد المسؤولين بالأخبار والمشاركة في التموين بالمواد الغذائية والقيام بالحراسة، ومراقبة تحركات قوافل العدو، والإبلاغ عن الخونة، وتحركات بعض ضباط وجنود الجيش الفرنسي لاسيما في المدن التي كن يدخلنها عادة بمناسبة الأسواق الأسبوعية التي يتم إقتناء حاجيات جيش التحرير منها وكذلك الإتصال بالمجاهدين شفويا أو كتابيا ،مستغلين الحركة الكبيرة داخل الأسواق وبطرق سرية متفق عليها.

ج - الصحة

كانت لجيش التحرير الوطني مراكز صحية في منطقتي جبال عمور وجبال أولاد نايل يرأسها أطباء وممرضون مهمتهم الكشف الطبي عن المنخرطين في جيش التحرير، وكانت للثورة مراكز صحية وشبه مستشفيات متنقلة تستقبل الجرحى

وتقدم الإسعافات الأولية، وغالبا ما توجد هذه المستشفيات في الغابات والجبال، وكانت تفتقر هذه المصالح في الكثير من الأحيان إلى الأدوية والأدوات الطبية، وهنا تلعب المرأة الريفية دورا هاما بتوفير الكثير من الأدوية من خلال النباتات والمواد المحلية ذات الطابع العلاجي التي تعرفها وتتوفر في المنطقة، كما كان الكثير من النساء ممرضات يقدمن الإسعافات الأولية لجنود جيش التحرير خاصة ما يتعلق بعلاج الحروق و جبر الكسور الذي تشتهر به نساء المنطقة و بشهادة الكثير من المجاهدات ساهمت نساء المنطقة في التمريض و معالجة الجرحى وإسعافهن أيضا و إن كان الأمر يحتاج الى تدريبات حثيثة فليس من السهل ممارسة التمريض ، ومن هذا المثال المجاهدة" لطرش فطوم" وإن لم تمارس مهنة التمريض بشكل فعلي إلا انها تعلمت بعض مبادئها من زوجها الممرض"بوهلال لخضر"الذي كان يسعف الجنود و ساهمت معه في الإسعاف .و لم تتأخر المرأة الناييلية والعمورية في محاولة التأقلم مع مقتضيات الثورة وتعلم كل ما يتصل بها من سلاح و تطيب و أجهزة إتصال بقدر ما يتاح لها،لتثبت أنها معنية بالقضية الوطنية وتحرير الجزائر كأحيها الرجل.

نساء جبال عمور و أولاد نايل في ركب الشهادة :

لعل أسمى ما حظيت به المرأة الناييلية والعمورية كغيرها من حرائر الجزائر المجاهدات هو الإستشهاد في سبيل الله وكتابة أسمائهن على جدار الخلود إلى الأبد، وإن كانت الكثير من الشهيدات كما سبق التطرق له مازلن بحاجة لتسليط الضوء عليهن والكشف عن تفاصيل أكثر حول جهادن ولكننا نكتفي بإحصاء بعضهن لإثبات ماقمن به من البطولات تكلفت بالشهادة وهي أعلى وسام تحصلن عليه.

شهيديات من جبال عمور:

رغم الظروف القاسية التي كانت تعيشها المرأة في منطقة جبال عمور ومنطقة أولاد نايل من جهل و فقر و حياة بسيطة لاسيما تلك التي كانت تقطن القرى أو الأرياف أو البادية و المناطق الجبلية الا أنها كانت ذات همّة عالية وشجاعة فائقة فلم تنحني للمستعمر رغم ما كان يمارسه ضدها من ظلم واهانة و ما ان وصلت

الثورة الى تلك المناطق مع بداية سنة 1956 حتى كانت المرأة العمورية و الناييلة الى جانب أخيها الرجل تقدّم له يد العون من توفير المؤونة وتقديم العلاج وحفظ السرّ ، ولم تكتفي بدور المسبّلة أو الفدائية فحسب بل إقتحمت الجبال و لهيب المعارك الى جانب اخواتها المجاهدين حاملة السلاح تارة وتهم بعلاج الجرحى تارة أخرى فنالت هي كذلك الشهادة من أجل عزّة واستقلال الجزائر ، وعليه فمن بين شهيدات منطقة جبال عمور نذكر منهن

الشهيدة براهيمية خيرة وهي واحدة من شهيدات منطقة جبال عمور ولدت سنة 1934 بأفلو والدها براهيمية عبد القادر ووالدها براهيمية خناثة ، أسرتها ريفية متواضعة تعتمد على الفلاحة. كانت خيرة ذات أخلاق عالية وخصال حميدة ، حبّها لوطنها أكثر من حبّها لنفسها ، لما بلغت 20 سنة (1954) تزوجت برجل تشبّع بالروح الوطنية هو مالكي الطاهر.. ، عاش الزوجان في حب ووثام إلى أن وصلت الثورة إلى منطقة جبال عمور سنة 1956 فكانا من الذين كانوا يعملون سرا لصالح الثورة ليلتحق زوجها بصفوف جيش التحرير الوطني في نهاية 1959 بجبال القعدة بجبال عمور وبقيت هي تكابد المتاعب من خلال المعاملات القاسية لجنود الاحتلال والمداهمات المستمرة ليلا ونهارا بحثا عن الزوج ما جعلها تتعرض لكل أصناف التعذيب و الاهانات إلى أن جاء زوجها رفقة عدد من أفراد جيش التحرير الوطني وقاموا بتبهييها إلى منطقة ..المحصر ... جنوب سيدي بوزيد (شعبة الحديد) وبعد مدة من قامت قوات الاحتلال بعملية تمشيط للمنطقة بعد معلومات عن وجود أفراد جيش التحرير وهنا قامت الطائرات بالقصف العشوائي ما اضطر القسمة 2 إلى الدخول في معركة مع قوات المستعمر في نفس المكان أي المحصر يوم 31 ديسمبر 1958م ، حيث قاد هذه المعركة كل من شمس الدين السعدي المدعو علي ، ومديحة ملوك ، وخرابي يوسف ،والرق الحاج وقد نتج عن هذه المعركة 6 شهداء من بينهم شهيدتنا برهمية خيرة بينما كانت خسائر الاستعمار 40 قتيلًا، للعلم أن الشهيدة تركت بنتا واحدة عمرها آنذاك 66 أشهر

وبعد عامين عن استشهاده الأم التحق والدها بقوافل الشهداء في سنة 1960 لتجد البنت نفسها ابنة شهيدين الأم برهمي خيرة والأب مالكي الطاهر عن عمر سنتين . ولكم أن تتصوروا في سنة 1962 حياة بنت عمرها 44 سنوات يتيمة أبوين شهيدين في جزائر الاستقلال، ومن شهيدات المنطقة الأخرى رحمن الله نذكر :

الشهيدة.....لحيسي الدهصة

الشهيدة.....طرش بختة

الشهيدة.....سعيداني الزهرة

الشهيدة.....بغدادى بختة

الشهيدة.....شونف ميمونة

الشهيدة.....حربوعة مريم^{xviii}

الشهيدة ديقش بختة من مواليد أفلو سنة 1930م وأستشهدت سنة 1958م بولربعة مسعودة من مواليد قلته سيدي سعد سنة 1941م استشهدت 1958م^{xix}.

شهيدات من منطقة أولاد نايل :

لم تتأخر المرأة النايلىة كشقيقتها العمورية عن ركب الشهادة، لتسجل المنطقة بحروف من ذهب أسماء العديد منهن ، نذكر من بينهن رحمن الله :

الشهيدة بن قويدر خديجة:وُلدت في 02 جانفي 1938 بالجلفة، ابنة يحيى وفاطنة، التحقت بصوف الثورة (المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني) 1960، واستشهدت في 29 مارس 1961.

الشهيدة مصيطفى امباركة:وُلدت سنة 1908 بدار الشيوخ ابنة فرحات ومسعودة، التحقت بصوف الثورة (المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني) بالناحية الأولى المنطقة الثانية للولاية السادسة، هُيكلت من طرف الشيخ لقليطي، واستشهدت في 24 نوفمبر 1958.

الشهيدة قويدري فاطنة:وُلدت سنة 1931 بدار الشيوخ، ابنة بن علية وبختة، التحقت بصوف الثورة (المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني)، مسبلة سنة 1959

بالناحية الأولى المنطقة الثانية للولاية السادسة، هُيكلت من طرف السيد راجحي، واستشهدت في 1961 بالمويلح.

الشهيدة قطاف فريجة: وُلدت سنة 1914 بأولاد بن عليّة، ابنة محمد، التحقت بصفوف الثورة (المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني) بصفة مسبلة سنة 1956، واستشهدت في نفس السنة بمناعة.

الشهيدة روام فطوم: وُلدت سنة 1943 بالزعران، ابنة زيان وزينب، التحقت بصفوف الثورة بالمنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني بصفة مسبلة سنة 1959 بالناحية الأولى المنطقة الثانية للولاية السادسة. قدّمت الشهيدة عدة مساعدات للجنود، منها جمع المؤونة والسلاح للمجاهدين، واستشهدت سنة 1961^{xx}.

هكذا يتضح لنا مدى الإجحاف الذي تعرض له تاريخ المرأة الجزائرية المجاهدة والمناضلة، ضمن تاريخ يركز أكثر على إنتصارات وإنجازات الرجال فقط، مما يستدعي إعادة النظر والتنقيب الجاد على دور مختلف الفئات الشعبية ضمن ثورة التحرير، على إعتبار أن من أبرز خصائص الثورة الجزائرية، وان يماط اللثام على دور المرأة بشكل خاص والريفية منها على وجه الخصوص في مناطقنا الداخلية وعلى رؤوس تلك الجبال الشامخة والصحاري الواسعة.

ii - أنظر بيان أول نوفمبر الصادر بتاريخ 1 نوفمبر 1954م.

ii - ففي سنة 1954 مثلا كان عدد النساء 4 ملايين امرأة منهن 2 مليون دون العشرين سنة، ولم يتمدرس منهن سوى 60 ألفا أي بنسبة مقدرة بـ 4.50 بالمائة
رابط الموضوع <http://www.elmassar-ar.com/ara/permalink/26338.html#ixzz4p9Ww2Hky> :

iii - نقلا عن: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط4، دار الثقافة

بيروت، 1996، ج4، ص7.

iv - يمينة بشي، مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال، مجلة المصادر، العدد3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2000صص 214،215.

v - تعد فاطمة نسومر اكبر الرموز النسائية في مرحلة المقاومات الشعبية ، في سنة 1849م اتصل بها سي محمد الهاشمي وهو أحد زعماء مقاومة بومعزة بعدما نجح في الفرار من السجن والانتقال إلى بلاد القبائل، وبذلك إتفق سي الهاشمي مع فاطمة في تنظيم مقاومة مسلحة في القبائل العليا (جرجرة) لإنقاذ المناطق الساحلية والسهلية التي دخلت إليها القوات الفرنسية منذ 1842م، وأخضعت البعض منها مثل: يسر، دلس وبرج منايل ... وما إندلعت ثورة بوغلة سنة 1850م حتى سارعت لالة فاطمة الى مساندتها.وفي 11 جويلية 1857م، أخذت "لالا فاطمة" تواجه الفرنسيين بكل قوة إلى أن القي القبض عليها من طرف الجنرال يوسف قائد الحملة في المنطقة و الذي نقلها إلى معسكر الماريشال "راندون"، ثم نقلت مرة ثانية إلى زاوية الطاهر بن محي الدين ببني سليمان (قرب تابلط) وبقيت هناك رهن الاعتقال إلى غاية وفاتها عام 1863م عن عمر يناهز 33 سنة.

vi - تعد الجميلات الثلاث رمزا لمساهمة المرأة الجزائرية في ثورة التحرير (1954-1962م وهن :

جميلة بوحيرد: من مواليد 1935م بمدينة الجزائر حي القصبة، انخرطت بالثورة في بداية 1956م و هي تلميذة عملت بالمجموعات المسلحة في العاصمة، قامت بنقل الأسلحة، و وضع القنابل بأماكن يرتادها غلاة المستعمرين،اعتقلت في 09/04/1957م بعد إطلاق النار عليها في شوارع العاصمة، إثر مطاردة لها من طرف رجال الجيش الفرنسي. سامها المظليون الفرنسيون أشد أنواع العذاب وحشية. نشر عنها كتاب عنوانه "جميلة بوحيرد" محاميتها الأستاذ جاك فيرجيس بالتعاون مع الكاتب الفرنسي جورج ارنو. انتشرت قضيتها بالعالم و من خلالها قضية نضال المرأة الجزائرية. أولى الجميلات الثلاث التي تردد أسمها بالعالم و خاصة بأقطار الوطن العربي. أطلق سراحها مع وقف القتال .

جميلة بوباشا: من مواليد 1938م بمدينة الجزائر، انضمت للثورة عام 1955م و هي تلميذة. كان دورها نقل الأدوية و الوثائق للثوار و إيواء المناضلين المطاردين، اعتقلت بالعاصمة في: 09/09/1960م سيمت سائر أنواع التعذيب التي يمكن أن تسلط على إنسانة، بقيت رهينة السجن إلى أن أطلق سراحها مع وقف القتال. ألفت عنها الكاتبتان الفرنسيتان " سيمون دي

بوفوار، و جيزيل حليمي" محاميتها كتابا عنوانه: "جميلة بوباشا" .
جميلة بوعزة: من مواليد العفرون بالبليدة عام 1937م انخرطت بالثورة عام 1956م وهي
طالبة بالثانوية. عملت بالمجموعات المسلحة بالعاصمة. وضعت عدة قنابل في أماكن يرتادها
غلاة المستعمرين، أهمها القنبلة التي انفجرت في حفل راقص (بالكوكاردي) فقتلت أكثر من
20 فرنسيا و جرحت 89 وذلك سنة 1957م. رسمت صورتها أجهزة المخابرات الفرنسية
من وصف مشاهديها و تتبعتها إلى أن تم اعتقالها في أبريل 1957م. سامها رجال المظلات
الفرنسيون سائر أنواع التعذيب و أشعها و أكثر وحشية و همجية و تنقلت بين عدة سجون،
آخرها سجن " نيور " بفرنسا. وأطلق سراحها مع وقف القتال عام 1962م، عندما كانت
الصحف العربية و العالمية تنشر عن جميلة بالخمسينيات، كانت تضع أحيانا صورة جميلة
بوخيرد وأحيانا أخرى صورتها.

vii - أبو طارق محمد العربي، المرأة الجزائرية مشتتة الثورة وحاضنة الوطنية، المنتدى الوطني
حول كفاح المرأة الجزائرية، عنابة 9 و 10 جويلية 1996، مطبوعات المركز الوطني
للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص: 105

viii - إبراهيم لونيبي، نساء جزائريات تحت التعذيب: الجميلات الثلاث نموذجا، حولية
المؤرخ، الجزائر، العدد 2/2002، ص13.

ix - جبال عمور سمي نسبة إلى قبيلة عربية كبيرة كانت تعرف بإسم اولاد عمور . العمور هم
قبيلة من القبائل الكبرى لمنطقة وبالتحديد هي قبيلة هلالية أفلو حيث أنهم من العرب الذين
ارسلهم الفاطميون للقضاء على التمرد بالمنطقة وعرفت المنطقه بجبل عمور نسبة اليهم، الا أن
السكان الاصليين هم بني راشد ثم تأصلت قبيلة. بعدهم وهم المعروفين حاليا باسم الرحامنة و
كان سابقا الجبل يعرف بجبل سيدي راشد قبل قدوم العمور إلى المنطقه الذين قادهم أبو العالية
من احفاد اولاد سيدي الشيخ . وجميعهم من سكان مدينة أفلو ولاية الأغواط بالجزائر.

تقع سلسلة جبال العمور ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي بين سلسلتي جبال أولاد نايل شرقا
و جبال القصور غربا، و تحدها شمالا الهضاب العليا الغربية و جنوبا الصحراء. و تبرع المنطقة
في مجملها على مساحة 7.000 كم2، تعد مدينة أفلو عاصمة الإقليم وأكبر مدنه.

x - منطقة أولاد نايل : تقع في سفح الأطلس الصحراوي وبمفترق الطرق من الشمال إلى الجنوب، بين أحضان السهوب الوسطى عند التحام الصحراء بالهضاب العليا. وشساعة المساحة أعطت المنطقة تنوعاً طبيعياً، إذ نجد مثلاً أنواعاً تضاريسية متعددة على امتداد مساحتها الشاسعة فهناك سلسلة جبلية في وسط الولاية تمتد من دائرة دار الشيوخ شرقاً إلى الإدريسية في أقصى الغرب، حيث تتخلل هذه السلسلة قمم جبلية فارغة، تبلغ مداها الأقصى في قمة جبل "محاسن الكفا" بالقرب من منطقة بن يعقوب المرتفعة بـ 1613 متراً، وينخفض هذا الارتفاع كلما توجهنا غرباً دون أن ننسى جبل بوكحيل الذي يأخذ مساحة في الشمال الشرقي لدائرة مسعد، ويمتد حتى بوسعادة، وكذا جبل الملح بالمكان المسمى "حجر الملح"، وهو ثالث جبل ملح في العالم ويقع على بعد حوالي 30 كلم شمال، تعد مدينة الجلفة عاصمة الإقليم وأكبر مدنه.

xi - أنيسة بركات درار ، المرأة الجزائرية والثورة التحريرية، مجلة أول نوفمبر، عدد 1984، 68، ص 50.

xii - زهور ونيسي، المرأة والثورة، الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، المنعقد بعناية يومي 9 و 10 جويلية 1996، مطبوعات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص: 206.

xiii - وثائق مؤتمر الصومام 1956، وزارة المجاهدين، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د ت)، ص 45.

xiv - من المحاولات التوثيقية لمجاهدات وشهيدات المنطقة الجنوبية (الصحراء) أنظر مثلاً : مختار سويلم، دور المرأة الشعبانية في الثورة التحريرية نواصر عائشة (الخنساء الأخرى للشعبانية) نموذجاً، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غارداية، مج 7، ع 2014، 2، صص 1-10.

xv - براهيمى مريم، بعد مرور 50 سنة من استقلال الجزائر / تاريخ المرأة الثوري في الولاية السادسة..... أيــــن؟؟ تحقيق بوقع الجلفة أنفو بتاريخ 05-07-2012

xvi - براهيمى مريم ، كفاح المرأة النايلية ، ضمن المجلة الإلكترونية " النايلية" على الموقع الإلكتروني <http://djelfa4cooking.blogspot.com/p/enayliya.html>

xvii - مريم براهيمى، المقال السابق.

xviii - عمران بن يوسف ، شهيدات جبال عمور ، عمل غير منشور (2016-2017).

^{xix} - لقاء بتاريخ 22 أوت 2004 مع المجاهد : سعودي بن شهرة للحديث حول " الثورة وفعاليتها في منطقة القعدة (جبال عمور) ، بمقر قسمة المجاهدين بأفلو على الساعة 11 و13د.

^{xx} - مريم براهيمى ، مرجع سابق.